

الغائب الذي سيجي

الذي يتكرر كثيرا في جوانب مدينتنا . ومن المؤكد ان الشرطة لا تسمح بهذه الاعمال الوقحة ، فهي تعرف ادق تفاصيل مسطرة التنظيم وتنفيذ باللائحة الخشبية والورقية على حد سواء ... وهذا سر نجاحها ...

اما صدقني لابن عمي فهي من الانجازات التي حققتها هذا اليوم . في الشارع السابع الخلفي ، رأيت عددا من النساء الجميلات يتبعن سائحا أميركيا يمكن شراء ذفنه بدولار . كن يتبارين للحاق به ، نظرت اليه بدافع الفضول فوجدته مغربا ولذيذا ، واقترححت على ابن عمي الذي بدأ ينفصل عني بعض الشيء - لدرجة انني ظننت اني أسيسر لوحدي - اقترحت عليه ان نمارس عملية التنزه مع الجماهير . لطمني بقوة فعاد صوابي الي ، لا بد انني أخطأت الفهم ، ووعده بان أسلك سلوكا سويا ، التفت اليّ دون ان يتحدث ، فعلمت لماذا يحبني كل هذا الحب .

في الشارع التاسع الخلفي (ويجب ان انوه بان الشارع الخلفي الثامن قد حذف لتوه من المدينة ضمن حملة تجديد شنتها محافظة العاصمة ، وسافر الشارع في التاريخ المخلوع وما شعرت بالحسرة عليه ، البشر في الشوارع المحمية يتوزعون على الشوارع الأخرى ، والمهم كما تعودنا هو استمرار دائرة الزخرفة) . في منتصف هذا الشارع استرعى انتباهي شيان :

الشيء الاول : وجه عشيقتي المحروق والتي تعرفت عليها بصعوبة فائقة ، وهي لا شك تأسى لحالي ، وربما تذكر العشرة القديمة ، كانت عشيقتي وجها محروقا يتأبط ذراع رجل طويل بلا أنف ، ولدى مطالعة ماضي الرجل الجرمي بعد عدة وساطات قيل لي بان هذا الرجل من أغنى تجار المدينة ، وان فقدانه الانف هذا حصل في معركة من أجل تجارة مشروعة ، وكم أدركت مبلغ سخافتي اذ لم افطن لمثل هذه الاشياء من قبل ، كان على عشيقتي القديمة اصلاح انف عشيقتهما الجديد باقتراح شراء انف لتشم اكثر !

الشيء الثاني : ان نسوة المدينة اللاتي حاولت وابن عمي تجاوزهن أثناء السير ، عدنا للالتقاء بهن الآن في منتصف الطريق ، وهذا بحد ذاته ليس مزعجا لولا انهن يشكلن نصف دائرة لرافقة الاميركي في الشارع .

جمع اطفال القرية كل المسامير ، كل المسامير التي وقعت من احذية الغزاة الذين مروا من هنا ، وتلك التي تركها الحذاء ابي خليل قبل ان يعتزل المهنة ، بل قبل ان يفر مدعورا من الحي الذي سكنه الابالسة ، جمعوها على شكل كوم من تراب ، او فضة ، وجاءوا بي طالبين ان أتخطاها ، فاخترت ان أجتو فوقها :

- المسمار الاول في عيني .
- المسمار الثاني في خاصرتي .
- المسمار الثالث في الخعاع الشوكي .
- المسمار الرابع بين الجسد والعظم .

صرخت بمجون صاحب ، ضحك الاطفال ، ازداد التبعض البشري شدة ، تنادى الاطفال يدفنون الرجل الذي صار مسمارا ، وبدأت أكتشف الذعر في وجوه اخوتي الصغار . الصفرة تنمو وسط احلام الصلب العضوي القاتل . رؤوسهم التي تجرب عد المسامير تفعل شيئا آخر ، شيئا غائبا ولكنه سيجيء .

اقربيت فتاة من النعش الحي ، راعها منظر الدم ، فتاة قعر يفرق بالنعمان ، أما وجهها الفضي فقد كان شائخا ، الشفقة ما زالت في أمتي وأنا أندلى كفتق طفل مخنوق بالفاز الدهول ، صار المسمار الاول شجرة ، اما المسمار الثاني فصار طائرا بحجم النسر ، وتلاشت السماء .

- ألم أقل لك ؟

قالت ذلك ابنة اللصينة ، وبصفت على جرحي ، داست على كيدي ، فعلت ذلك ابنة القصر . ولقد منحنتني البصقة هذه فسوة مضاعفة ، فأحسست بالمسامير بردا وسلاما ، بصقة الية حقيقية ومهيبة ، ساعدني ذلك على مفادرة المكان ، اتكأت على طفل نحيف وشاحب ، سمعته يصرخ في رفاقه :

- دعوا الرجل فهو ابن عمي .

ومن الطريف ان ابن عمي هذا كان قد ساهم في فرس مسامير عديدة في جسدي ، رأيته يحفر جسدي بحقد ... اتكأت عليه وسرت ، اختار ان يسير بي من الشوارع الخلفية ، قلت سياخذنسي لبيتهم لاسعافي والاعتناء بي ، اما العائلة فستكون مسرورة غايبة السرور لهذا القدوم المفاجيء ، وسنحتفل معا بهذا الخطا الصغير

حاولت أن أنفذ من حب هذا الطفل الكبير الممسك بي ، تغليت القرابة مسمارا خامسا يعني هذه المرة من المقدرة على النهوض أو الجشو ، ضربته بكتفي اليسرى دون أن اظهر له بانني اختبر قوته ، قدرت انه ما زال منها من نقل المسامير ، صدق حسني قليلا ، فبدات ارسم خطتي : ساجرب الهرب . مرات كثيرة صمدت ، فلماذا لا احاول ان اهرب مرة واحدة .. لكن في تاريخي الناصع الابيض هذه الورقة السوداء ، لن اوصل الهرب كثيرا ، سانقض عليك يا ابن العم ، في الوقت المناسب ، وفي مكان آمن ، اعرف اماكن آمنة كثيرة تمنسج الاكل والنوم والحراسة .

في هذا المكان ساعكف على ترتيب اوضاعي وفق خطة جديدة ساطق عليها خطة الدجاجة (رقم ٢) .

تمهل الشيطان قليلا ، فراءة ردات لعله آتيا من الافعال الخاطئة ، احسن الخطط يكتشفها الحراس ، الاسوأ دائما هو الاكثر نجاة ، وضغط على اذني بصوته القبيح :

- سوف نشاهد الآن مسرحية جميلة .
- نحن لسنا في المسرح ، ويجب ان ارجع الى البيت كي اتعالج .
- صه فانت أسوأ من في الجمهور .
- هل بدأ الشارع يصبح مسرحا في بلادنا ؟
- لقد أشبهناك جراحا وما زلت تسأل عن الشارع ، لماذا تهتم به

فسل !

رايت الآن عنفه الاحمق .. في الفم والمضلات والاصابع ما زال خصمك قويا ، اما لحمك المتناثر فيعيق الحركة السريعة ويولد في الوقت ذاته الرغبة في الانتقام اليظيع ، تاجيل الخطة .. هو خطة بعد ذاتها .

خصوبة الفحل في الدفيقة الاولى : الانزعاج والهدوء يسوقان هذه التجاوبات السريعة ، أزحت التفكير القاضي بغرس يدي في جيبه المشقوق حتى الركبة ، حدث الانفصال الاول ، ابتعد قليلا ، فادرك بأنه لا يحسن السير بدون عكاز بشري ، بعد هذه المسامير لا بد من راحة ، وأراد أن يسال هذا العكاز السوط ، وهذا العكاز الساعد ، عما اذا كان يوجد مغارة في هذه المدينة ام لا ، ليس من اللائق أن تفعل هذا ، فانت على حافة الموت وكل تقديراتك حتى الآن ليست صائبة .

ازداد بحلقة في وجه هذا الصبي الذي يجره ، غرق فسي المسافة ، أحس بأحشائه تنفصل عنه وتضج بوح هستيري له لسون السائل الاصفر الذي تخرجه المعدة في حالة الغثيان والتوتر الجسدي ، تاق الى ممارسة التمدد على ارض المغارة الرطبة ، مغارة شركسية بلا عرس ، يريد مغارة جوفها ، يريد ان يسبح حتى الارض السابعة ، ان يصل مركز العالم الجهول المحمول على قرن ثور ، نقطة التقاء الماء بالارض بالانسان ، نقطة غياب الله الواثق من ضياعه ...

لا أستطيع صمك بعد ، وخطة الدجاجات مجرد خطة جوفاء ، خطة اسد لم يستطع ان يموت في القابة ..

الفتيات الجميلات ، القادرات على الايذاء والمعاجزات عسسه يفترسن جسد هذا السائح المحموم ، وانت تعوم حول الجنس فيقتلك الظما ، فالنساء بحاجة الى عطور ومال ..

دوت الصفة على وجهه ، فطن الصبي الى ان « الغريب » يتامر عليه . واصل الحلم الواعي ، أريد امرأة وكتابا .. وشيئا آخر ، طوى الفكرة بين جوانحه ، فالصبي خظير ، يقرأ الاشياء بلؤم ناقب التفكير . فضيحة كبرى ، والذين يفكرون لا تلبث القوانين الربانية والموضوعة ان تسجنهم خشية ان يجبنوا فقط .

- متى نصل البيت يا ابن عمي ؟

- عن اي بيت نتحدث ؟

- عن بيتكم .

- الا ترى المدينة تلفظ الناس في العراق ، ثم تريد ان تسهب

للبيت ؟

- وهل الزمن حار لهذه الدرجة في بيروت ؟

- هل عدت تزور معاني الكلمات ؟ الا يكفي انني انقضت من

الصلب ؟

- أريد ان استريح .

- وهل تعبت ؟

- تعبت كثيرا ... والناس ايضا متعبون .

- الناس يسيرون وراء الاميري وهم يضحكون .

- لن تستدرجني هذه المرة الى غزوة من غزواتك .. دع الناس

يسيرون ورايه .

- في النهاية سوف يتعبون ، الا تراهون على هذا ؟

- كل شيء يصبح هينا ما دام الوصول للبيت قريبا .

- من قال لك انني اؤودك للبيت ؟

- لقد ظننت ذلك لمدة طويلة .. ولكني اريد الان العودة لبيتنا

نعهن .

- المسألة بدأت تختلف .. زد على ذلك انني غريب مثلك ..

مثلك تماما .

- أنت ابن عمي .. جرحي الفائر في وجه السنين الملحسة

بالسواد ...

جاءته النوبة فهبط على الارض مثل سقف هائل جثمت عليه عاصفة هوجاء ، وتقدم الصبي الكبير نحوه ، هز الجسد بحنو جاف ، ضغط على القلب ، على المفاصل جميعا ، رأى علامت الدم تاخذ شكل النهر حينما يكون متحدا بالوحل والمطر ، عجب من سخونة الجسد الذي بدأ يصير يابسا ، انبطح وهستيريا الرعب تسيره ليستسمع باناة الى دقات القلب ، وكان هذا الاخير يرسل صفارات الانذار على أهبة دقات مبحوحة ، وكان الصبي يسمع « تاتاة » القلب وفق هذه الخاصية لأول مرة ، ويعاين الكلمات الزرقاء . وهمس محاذرا ان لا يسمعه احد :

- سأتصل بعمر على الفور ، فلقد طلبوه حيا .

وفي طريقه الى الشارع التاسع الامامي ، وضع نفسه في دائرة البداية ، تصور الاحتفال المهييب ، حضور العائلة الكامل ، فالمائلة لأول مرة تعقد اجتماعا بهذه المهابة وقد دعى هو الى الاجتماع ، وتم التباحث في كل شيء بصراحة ، وشعر ان وجه العائلة الحقيقي يبول على اصالته لأول مرة من خلف قطع القماش الملون والمصنوع وطنيا .

الاشياء واضحة في ذهنه الان على نحو منقوش كوشم الحبيبية ، ولاول مرة توضع قرارات العائلة موضع التنفيذ ، فمن يجزؤ على الخروج على الاجماع ؟

ورفع سماعة الهاتف كي يخبر الجوقة بنبا مصرع الرجل العنيد ، ولاحظ ان الدم الملتصق على قفا يديه يخيف اهل المدينة ، وربما ابتعدوا عنه ، فالشفقة ما زالت قاتلة .

انحدر صوب العين كي يقتسل ، رقم الهاتف منقوش على اوتار قلبه ، رقم شيخ العشيرة ، وباتجاه العين شاهد الموكب قد كبر ، وشاهد الاميري يقود المسيرة ، وأدرك انه أخطأ بصدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة ، فالمسيرة ستمر بالرجل الملقى ارضا .. وربما نهض الميت .. وسار مع الناس محاولا الاختفاء بين الناس للوصول الى المغارة التي كان يسال عنها .

احرقته هذه الافكار فسار يتخبط على غير صواب ..

بيروت